

تفسير ابن كثير

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ^ق وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ^ق وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا

يقول تعالى مخبرا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين : إنهم كانوا يأكلون الطعام ،
ويحتاجون إلى التغذي به (ويمشون في الأسواق) أي : للتكسب والتجارة ، وليس ذلك
بمناف لحالهم ومنصبهم ; فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة ، والصفات الجميلة ،
والأقوال الفاضلة ، والأعمال الكاملة ، والخوارق الباهرة ، والأدلة [القاهرة] ، ما يستدل
به كل ذي لب سليم ، وبصيرة مستقيمة ، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل .
ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل
القرى) [يوسف : 109] (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) [
الأنبياء : 8] . وقوله : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) أي : اختبرنا بعضكم ببعض
، وبلونا بعضكم ببعض ، لنعلم من يطيع ممن يعصي ; ولهذا قال : (أتصبرون وكان ربك
بصيرا) أي : بمن يستحق أن يوحى إليه ، كما قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل

رسالته) [الأنعام : 124] ، ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ، ومن لا يستحق

ذلك . وقال محمد بن إسحاق في قوله : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) قال :

يقول الله : لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون ، لفعلت ، ولكني قد أردت أن

أبتلي العباد بهم ، وأبتليهم بهم . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار ، عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم : " يقول الله : إني مبتليك ، ومبتل بك " . وفي المسند عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم : " لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة " ، وفي

الصحيح أنه - عليه أفضل الصلاة والسلام - خير بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا

فاختار أن يكون عبدا رسولا .